ثقافة الحسينية

وأثرها في تكوين الشخصية الشيعية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

ثقافة الحسينية

وأثرها في

تكوين الشخصية الشيعية

تأليف
صباح الموسوي

الناشر
المؤسسة الأحوازية للثقافة والإعلام

الإهـــداء

- إلى أُمي التي أرضعتني حب الحسين.
- إلى أبي الذي علمني الالتزام بمبادئ وقيم وثقافة الحسين.
- إلى مَن ساهم وأعان على إصدار هذا الكتاب.
- إليهم جميعا اهدي هذا الجهد المتواضع.

تقديم

بقلم:
عبد الرحمن الجميعان
المنسق العام لمنتدى المفكرين المسلمين

تتمركز الآليات التأثيرية للارتباط بالفكر الشيعي في ثلاث:

المظلومية، وثقافة الحسينية، والقداسة والأسطورة.

أما المظلومية: فهي رداء نفسي للتأثير في نفوس الحاضرين والقارئين والمتفاعلين؛ بحيث يُشعِر الخطيب سامعيه بأن الظلم قد وقع لآل البيت عليهم السلام، ومنهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. فالمؤامرة قديمة المنشأ، وهي مرتبطة بالظلم، والمظلومية، فالنبي ﷺ حاول الصحابة منعه من الكثير

من الأمور، وفي آخر المطاف ظلموه بدس السم له وقتله.

وهكذا ظلم علي واغتصب الخلافة، وجاء الباقون كذلك في هذه السلسلة، فلم يمت أحد منه حتف أنفه، بل الجميع وقع عليهم الظلم من النواصب- السنة- فيرتبط الماضي بالحاضر، ويتشكل في العقل الحاضر أن هؤلاء- السنة النواصب- خلَف لسلفهم، وتلعب نظرية (بافلوب) في الاقتران الشرطي دورها في ترسيخ الصورة الذهنية المغالطة!

وأما ثقافة الحسينية: فهي قد تكون من أخطر الأدوات الفاعلة، والتي كثيرًا ما غيَّرت في العقل وفي نمطية التفكير، وفي تسويد اللاعقل واللامنطق، وقد تحدث المفكر الفاضل (صباح الموسوي) في كثير من الحلقات حول «ثقافة الحسينية» وخطورتها، وكفانا مؤنة الحديث عنها.

أما القداسة والأسطورة: فحدِّث ولا حرج، فبمجرد أن يذكر الخطيب أو الكاتب أن لآل البيت روايات في هذا الشأن، حتى ترى الخضوع المطلق للرواية، دون

الحاجة إلى ذكر مصدرها، أو التحقق منها.

وانظر إلى كتاب «**أزمة العقل الشيعي**» لـ«مختار الأسدي»، فقد تكلم حول هذا الموضوع في جزء من كتابه، وأيضًا «علي شريعتي» بخاصة في «التشيع العلوي والتشيع الصفوي».

● **الثورة والثائر:**

كانت حركة الحسين تطورًا مهمًّا في فقه التغيير، أو نظرية التغيير في الفكر الإسلامي، ولن نناقش نجاح أو فشل الحركة، فلهذا موضوع آخر، ولكننا سنناقش قضية الثورة وعلاقتها بالثائر:

كان الحسين محتجًّا على الطريقة التي عوملت بها الأمة، وصودر رأيها في اختيار يزيد بن معاوية، والقضية لا أراها اعتراضًا على الشخص، بقدر ما هي اعتراض على الأسلوب والطريقة، فمن سبق معاوية ﷺ من الخلفاء جاءوا بالشورى، وإنما الحسن ﷺ جاء بالانتخاب أو التزكية، استكمالًا لمسيرة أبيه رضي الله عنهم أجمعين.

ثم كانت الأحداث التي دارت تلك الفترة، وما كان من نتائجها الخطيرة في تحويل الشورى والخلافة إلى ملك عضوض، هكذا كان يرى القضيةَ الحسينُ رضي الله عنه فخوفه على الأمة حرَّكه، وليس خوفه على الدين؛ لأنه كان يرى أن الدين محفوظ إلى قيام الساعة، ولكن الخلل سيأتي للأمة في فهمها وفي سلوكها، مما سيؤثر على الأجيال المتعاقبة.

ونظرة أخرى كان يراها وهو عاش فترة الخلافة العادلة، فيرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤخِّر أهل بيته ويقدِّم أهل بيت النبوة، والبدريين وغيرهم، ثم رأى أباه كذلك، عندها أدرك كم ستدفع الأمة من ثمن لذلك، وهو يعلم بحديث النبي ﷺ حول تغيير الخلافة إلى ملك عاض، مثل حديث: «**إن فساد أمتي على يدي أُغَيلِمةٍ من سفهاء قريش**» كما في البخاري التاريخ الكبير.

إن الثائر- أيّ ثائر- يحب أن يرى آثار ثورته، تعبر عن فكره وعن حركته، وأن تبين الملامح العامة لما قام عليه، ويمضي الذين من بعده على ذات الخط، ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

تحولت كربلاء إلى رمز للظلم، مما يعزز المسألة التي ذكرناها، وكان لابد مع تقادم العهد من مكان للالتقاء؛ فكانت الحسينية وتطوراتها، ثم احتاج الخطباء والكتاب إلى مزيد من القصص التي تؤثر على عقول ووجدان السامع والقارئ؛ فكانت الأسطورة، ومن ثم القداسة التي تضفى على دم الشهيد، بحيث يبقى مقدسًا طاهرًا لا يمكن الاقتراب منه بقلم النقد والتحليل.

وكأي فكر يعيش تحت السراديب أكلت الأسطورة الحقيقة، وتحول الفكر إلى خرافات تُضحِك السامع، فضلًا عن أن تحزنه، ولكن هكذا صممت «ثقافة الحسينية» العقل الشيعي؛ كي يستجيب لها، وكي تخضعه لسلطة هذا الفكر والمعممين.. انظر مثلًا: (فصل الشهيد) عند علي شريعتي في «الحسين وارث آدم».

* * *

● **تحول الثائر إلى الماعون:**

حولت «ثقافة الحسينية» دم الشهيد وحادثة كربلاء إلى يوم أكل وشراب طوال المحرَّم؛ فتوزع المأكولات- بخاصة اللحم- والمشروبات- الفيمتو- لمشابهته بالدم.

وكذلك حولوه إلى دمعة خالصة؛ فمن يأتي ينبغي عليه أن يحزن، وأن يتفاعل مع الحدث بوجدانه، وأن يأكل من طعام الحسينية.. وهي قضية نفسية تربط الحسينية بالحدث.. ولكن لم يدركوا أنهم ربطوا الماعون و المأكل والمشرب بالأسطورة، و بثورة الحسين؛ فلم يعد الحسين فاعلًا في القضية، وإنما هو باب للدخول.. وإنما الفاعل الأكبر: هو الخطيب الذي يركب المأساة، ويحولها بالاتجاه الذي يريده. والفاعل الثاني: الماعون، الذي لابد من وجوده؛ فهؤلاء خدام الحسين، وطباخو الحسين، و الذابحون للحسين... وإلى آخر هذا الكلام.

ثم تنتهي المأساة والمذبحة بدمعات تسقط، ولقيمات تؤكل، وبهتافات للبعض ضد النواصب، ويا لثارات الحسين.. ثم يفض الجموع، حتى السنَة القادمة،

لتتكرَّر المأساة، و يستخدم آل البيت الأطهار للأكل في الموائد ومن موائدهم.

وهكذا يتحول الحسين إلى مجرد ماعون يغترف منه، وثورته إلى لحوم توزع هنا وهناك، أما حركته وفكره، وتحليل النصوص تحليلًا علميًّا، فلم يعد له مكان؛ لأنه يثري العقل، و قد يجعل السامعين يتحررون من كثير من الأفكار، كما صرَّح علي شريعتي بقوله: «إن المثقف الشيعي يرتد ويتنكر لهذه العقائد، وينسجم أكثر مع الأدلة السنيَّة، ويراها أكثر منطقية وانسجامًا مع روح العصر، وثقافة اليوم السائدة؛ فيميل إليهم فكريًّا وعقائديًّا بشكل رسمي أو غير رسمي، ويرى في قلبه وأعماقه أن هذا النمط من التفكير أكثر تطورًا وعقلانية»[١].

● **وختامًا..**

فالمثقف الشيعي بحاجة- مرات كثيرة- إلى إخراج الحسين وثورته من هذا القمقم، وإطلاقها للتغيير

(١) «**الحسين وارث آدم**» (ص٢٦٠).

المنهجي في الفكر الشيعي.

وجزى الله الأستاذ صباح الموسوي خيرًا على ما قدَّم في تعريف «ثقافة الحسينية» في هذا الكتاب القيِّم.

.

* * *

تعريف مختصر لشعار

كلُ يَوُمٍ عاشَورَاء
كلُ أرضٍ كربلَاءِ

شعار الفتنة والحقد والكراهية الذي يرفع تحت عنوان الثأر للحسين! يشكل مصداقا لثقافة الحسينية التي عبر عنها رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي في مؤتمر صحافي عقده مطلع عام ٢٠١٤م، في مدينة كربلاء أصدق تعبير حين قال:

«إن الذين قتلوا الحسين لم ينتهوا بعد فهم موجودون الآن والحسين ما زال يستهدف من هؤلاء الطغاة.. وايضا أنصار يزيد وأنصار الحسين وعلى طول الخط يصطدمون حاليا في مواجهة شرسة عنيدة وهذا يعطي رؤية بأن الجريمة التي ارتكبت بحق الحسين لم تنته وانما ما زالت فصولها هي التي نعيشها اليوم من قبل الارهابيين والطائفيين والحاقدين على أهل البيت».

هذه ترجمة حقيقة لواحد من اخطر شعارات ثقافة الحسينية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

أردت أن أكتب عن الدور الوظيفي لثقافة الحسينية التي أصبحت الحاضنة التي تروج لعقائد الصفوية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد حاولت أن أكتب في موضوع «**ثقافة الحسينية**». من زاوية أخرى مختلفة تمامًا عمَّا هو متداوَل عند الدعاة وأصحاب الردود على أتباع عقيدة الصفوية؛ فهناك الكثير من الكتب التي وضعت في الردِّ على عليهم، ولكنني أردت أن أكتب عن الدور الوظيفي للحسينية، التي أصبحت الحاضنة التي تروِّج لعقائد الصفوية

بأسلوب غير مسبوق.. أي أنني لا أناقش محتوى أصل عقيدتهم؛ لأن هناك من أهل العلم من كفَى ووفَّى في ذلك، وإنما أنا هنا أناقش موضوعًا لا يقلُّ خطورة عن تلك العقائد، وهو: «الدور الوظيفي للحسينية، ومحتوى ثقافتها».

وقد اجتهدت في اكتشاف سبب جنوح «**ثقافة الحسينية**» إلى الاهتمام بالعمل على «تقوية العقيدة»، في مقابل «صحة العقيدة»؛ حيث إن الدور الوظيفي لثقافة الحسينية لا يعمل على صحة العقيدة، وإنما يعمل على تقوية العقيدة في نفوس أبناء الطائفة، واعتماد هذه الاستراتيجية يهدف لعزل أتباع دين الإمامية عزلًا ثقافيًّا تامًّا عن الاحتكاك بالثقافة الإسلامية على منهج أهل السنة، وبهذه الطريقة تضمن السيطرة على العامل النفسي لأتباعها، والتلاعب بعقولهم، على طريقة ما كان يفعله زعيم طائفة الحشاشين الإسماعيلية النزارية «حسن الصبَّاح»، الذي ركز على التلاعب بالعامل النفسي لأتباعه، من خلال تقوية العقيدة فيهم؛ من أجل السيطرة عليهم،

وتوجيههم حسب ما يشاء لارتكاب أفظع الجرائم ضد مخالفيه.

وهذا الدور الوظيفي لـ«**ثقافة الحسينية**» يجري العمل به عن طريق استخدام الطقوس، والبدع الخرافية، والقصص الأسطورية، التي تم إضفاء صبغة قدسية عليها .

ومن خلال البحث تبيَّن لي أمر غاية في الأهمية؛ وهو تماثل أسلوب «**ثقافة الحسينية**» مع الأسلوب الدعائي الذي كان يستخدمه الزعيم النازي «أدولف هتلر»، إذ كان يمارس الخطب الحماسية التحريضية، المشحونة بالتعصب العرقي والكراهية؛ لإقناع جماهير الشعب الألماني بصحة آرائه، وذلك من خلال الاحتفالات، والمهرجانات، والاستعراضات التي تصاحبها الموسيقا، وهتافات الانتصار، ونشر الرايات، والصخب بأنواعه .

فعندما تتأمل في أسلوب ملالي الحسينيات، والشعارات التي تردد في المواكب، وحفلات اللطم والنياح، التي تتكرر في المناسبات من كل عام بطريقة

درامية، والتي تصاحبها رفع الرايات بألوانها السوداء، والحمراء، والصفراء، والخضراء، تجد أنها تسير على نفس السياق والمنوال الذي كان يسير عليه الزعيم النازي «أدولف هتلر».. وكما ذكرت أن هتلر كانت لخطاباته اضافة الى الوظيفة الدعائية، تغييب الوعي، وخلق ثقافة القطيع .

وكذلك «**ثقافة الحسينية**» لها وظيفة دعائية نظَّرت لها الحركة الشعوبية، وتولَّى تطبيقها مَن يسمَّوْن بخطباء المنبر الحسيني، والمقصود بهم قرَّاء المراثي.. والهدف من هذا الأسلوب والممارسات هو تقوية العقيدة الصفويَّة في نفوس أتباع دين الإمامية، وذلك من خلال تغييب الوعي الفردي والجماعي، وترسيخ ثقافة القطيع.

ولقد وجدتُ أيضًا أن تأثير الدعوة الإسلامية التي تتم عبر إصدار الكتب وإقامة المحاضرات العقائدية، أقل تأثيرًا على المتلقِّي الشيعي من تأثير فنِّ الخطابة المنبريَّة، التي يمارسها مروِّجو «**ثقافة الحسينية**»- قُرَّاء المراثي- في عملية التَّدْجِين الفكريِّ عليه.

لقد اعتمد أهل السنة كثيرًا على أسلوب الكتابة، وتقديم الدروس العقائدية التقليدية في تبيان عقيدة التوحيد، وشرح أحكام الشريعة الإسلامية في العمل الدعوي.. والاعتماد على المادة الكتابية في الأعمِّ الأغلب والتي تتضمن أسلوب المنطق الكلامي الملزم بالنص، والمنهج العلمي الاستدلالي،، وهذا الأسلوب يعتمد على مصطلحات يصعب على العامة فهمها.

اما مروِّجو «**ثقافة الحسينية**» فقد اعتمدوا أسلوب فنِّ الخطابة «او الثقافة السمعية» باللغة الشعبية الحماسية الدارجة، واستخدام اسلوب المنطق العقلي واللغوي الذي لا يلتزم بالنص وهو اوسع و أكثر حرية في التعاطي مع الواقع ؛ حيث أدركوا أن هاذين الاسلوبين هما أسهل الطرق والأكثر جدوى في ترسيخ مفهوم تقوية العقيدة في نفوس أتباعهم .

وفي حين نجد عند الطرف السنِّي التواضع في الألقاب والصفات التي يطلقونها على علمائهم ومشايخهم ودعاتهم، فإننا نجد عند الطرف الآخر التفخيم والتبجيل المفرط في ألقاب وصفات رجال

دينهم، مثل: «حجة الإسلام والمسلمين، آية الله، آية الله العظمى، المرجع الأعلى، المولى المقدس».

وهذا التفخيم والتعظيم لم يأت عبثًا، وإنما هو مرتبط بأبعاد نفسية، وعقائدية، وثقافية، وتاريخية، تمتد جذورها لعصر الأكاسرة؛ حيث إن الدِّيانة المجوسيَّة والثقافة الفارسيَّة كانتا تعطيان الملوك ورجال الدين صفات الألوهية، والهدف من ذلك كله تسهيل عملية إخضاع أتباعهم نفسيًّا وفكريًّا.

وبالرغم من اعتماد مراجع دين الإمامية على المنطق والفلسفة اليونانية- الأفلاطونية والأرسطوطاليسية تحديدًا- اعتمادًا كليًّا لإثبات قوة عقيدتهم، وجعل العقل مصدرًا من مصادر تشريع الأحكام الدينية، إلا أن «**ثقافة الحسينية**» تجاوزت ذلك كله؛ باتخاذها الخرافة والأسطورة والبدعة وسيلة لتقوية عقيدتها في نفوس أتباعها.. فالعاطفة حلَّت عندها محل العقل، والبدعة محل النص الشرعي، والخرافة محل العلم، مخالفة بذلك كل ما حمله المنطق العقلي والمنهج الفلسفي اللذين يشكلان المرتكزات التي تقوم عليها

المقرَّرات التعليمية والقواعد التشريعية في حوزتهم الدينية.

وإني إذ أضع هذه المقدمة المتواضعة بين يدي القارئ الكريم، فأني آمل من خلالها إلى لفت أنظار أهل العلم، والمختصين من علماء ودعاة ومفكرين إسلاميين، إلى بحث ودراسة موضوع «**ثقافة الحسينية**» التي تعد مركز إعداد الشخصية الشيعية؛ فنحن بحاجة إلى إسقاط هذه الثقافة عبر تفكيك خطابها، وكشف وهنها.. ولكن ليس بالأسلوب الحِواريِّ السائد الذي درج عليه دعاتنا في محاورة المخالف، وإنما نحن اليوم بحاجة إلى خطاب إعلامي، وأسلوب حججي، يركز على استخدام أسلوب «الصدمة».

وفي القرآن والسنة النبوية الشريفة الكثير من الأمثلة التي تعلِّمنا كيفية صياغة الخطاب الإعلامي، الذي يصنع الصدمة، ويزرع الشك في قلب المخالف، وينزل الهزيمة النفسية والمعنوية في الطرف المعادي.. ولنا في أسلوب نبي الله إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة؛ حيث نجده قد استخدم أسلوب الصدمة في محاججته للملك

النمرود، من خلال المنطق العقلي، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وهكذا فعل نبي الله موسى عليه السلام في حواره الحججي مع فرعون، قدم لنا فيه نموذجًا جميلًا وباهرًا في استخدام أسلوب الصدمة، وأثرها في الخصم.. فنجده قد بدأ حواره مع فرعون باستخدام المنطق الاستدلالي العقلي، حتى أوصله إلى العجز الكلي، ولكن حين بدأ فرعون باستخدام أسلوب التهديد، : ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩]. فلما أحس موسى منه الخطر، استخدم أسلوبًا جديدًا معه، وهو المعجزة، : ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشعراء: ٣٠]. وبعدها بدأت عملية عصا موسى والسَّحَرة.

فمِن هنا أرى أن الأسلوب الحواري الإبراهيمي والموسوي، هو أفضل منهج لتفكيك «**ثقافة الحسينية**»؛ لإسقاط هيبتها في نفوس عوامِّ الإماميَّة، وللوصول بهم

إلى طريق الحق، وحماية أجيالنا من خطر انحرافاتهم العقائدية، وشرور حركاتهم السياسية، التي تعادي الأمة وتحارب أبناءها في مختلف الأقطار والبلدان العربية والإسلامية على الصعد كافة .

وهذا يتطلب منا البدء معهم في تناول أطراف «**ثقافة الحسينية**»، المتمثل في القدسية المزعومة للأضرحة والمزارات، وتفخيم منزلة المرجعيات الدِّينية التي تصل إلى حد العصمة... إلخ، قبل خوض الحوار في مواضيع توحيد الألوهية، وعصمة الأئمة، وغيبة الإمام، والرجعة، وغيرها من الأمور التي تشكل أصل عقيدتهم.

والله ولي التوفيق.

صباح الموسوي

جمهورية مصر العربية

القاهرة - ٢٠١٥ م

الفصل الأول

ما هي الحسينية؟

«**الحسينية**» هي مركز ثقافي ديني، يستمد أفكاره من كتب الروايات والقصص الأسطورية، التي وضعت في القرن الثالث والرابع

لعل أول سؤال يطرحه القارئ الكريم، الذي لم يسبق له الاختلاط بأتباع دين الإمامية، ولا يعرف عقائدهم ومؤسساتهم وطقوسهم وممارساتهم، التي يتم من خلالها رسم وصياغة ثقافتهم الدينية، هو: **السؤال عن الحسينية.. ما هي؟ ومتى تأسست؟ وما هو دورها في حياة أبناء الطائفة؟ وهل تختلف عن الحوزة الدينية- أي المعهد الديني الشيعي-؟**

وغيرها من الأسئلة التي نحاول الإجابة عليها باختصار .

ان «**الحسينية**» هي مركز ثقافي ديني، يستمد أفكاره من كتب الروايات والقصص الأسطورية، التي وضعت في القرن الثالث والرابع، وتكاثرت وتنوعت فصولها وطرق ممارساتها بعد القرن العاشر، وصيغت بأغلبها من قِبَل الحركة الشعوبية الفارسية، التي كانت ولا زالت تسعى لتحقيق الأهداف السياسية التي تخدم المشروع الإيراني القومي التوسعي؛ وذلك باستخدام التشيع والشيعة عمومًا وسيلة لتحقيق هذا الهدف .

لقد استخدمت الشعوبية الفارسية الحوادث التاريخية المؤلمة في حياة الأمة الإسلامية، كحرب الجمل، وحرب صِفِّين، وحادثة اغتيال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعركة كربلاء، وحوادث تاريخية أخرى، بعضها وقع في زمن الدولة الأموية، وأخرى وقعت في عهد الدولة العباسية؛ كحادثة مقتل «زيد بن علي بن الحسين» في العهد الأموي، وواقعة مقتل «محمد النفس الزكية» وواقعة «معركة فخ» في العهد العباسي التي قتل فيها جمع من العلويين بقيادة الحسين ابن علي «العابد» بن الحسن المثلث بن

الحسن المثنى ابن الحسن السبط.. وغيرها من الحوادث التاريخية التي وقعت بسبب المعارضة السياسية التي قادها بعض العلويين ضد الحكام الأمويين والعباسيين، ولكن تمَّ تحريفها، وتحويلها من كونها مجرَّد حوادث سياسية إلى مسائل عقائدية، صيغت لها ثقافة طائفية، وخطاب عاطفي، وأصبحت الحسينية فيما بعد مركزًا لترويجها.

لقد ركزت «**ثقافة الحسينية**» في مشروعها الطائفي على موضوع «قوة العقيدة»، وليس على صحتها؛ وذلك بهدف الهيمنة على عقول وأفكار أتباعها، من خلال ربطهم بالخطاب العاطفي المهيج للبكاء والعويل واللطم الذي بلغ أبشع درجات القسوة، مثل: ضرب الرءوس بالسيوف، وتمزيق الأبدان بالأمواس والسلاسل الجارحة، والمشي على النار، والزحف على الأرض تشبهًا بالزواحف، وأكل الطين والتراب.. وغيرها من الممارسات التي تهين العقل البشري، ويندى لها جبين الإنسانية؛ بسبب حطِّها لآدمية أتباعها.

وبهذه الأفكار والممارسات أصبحت «**ثقافة الحسينية**»

ثقافة خرافيَّة فريدة من نوعها، فاقت ثقافة جميع الديانات الطوطمية، ناهيك عن كونها مخالفة للعقيدة الإسلامية والمنطق العقلي الفلسفي الذي يُعَدُّ أحد مصادر التشريع لدَى مراجع دين الإمامية.

لقد تمكنت «**ثقافة الحسينية**» من إنشاء أجيال تفكر بمنطق ثقافة اللاوعي، أو ما يطلق عليه علماء الاجتماع بالوعي الزائف، أو عقلية القطيع، بعد أن صارت تعتقد أن هذه القصص الأسطورية والبدع الخرافية التي يسطِّرها مَن يُسمَّوْنَ جزافًا: أرباب المنبر الحسيني، أو ما يطلق عليهم شعبيًّا: «قرَّاء المراثي»، ويدعون لممارستها في المناسبات الطائفية التي تقام على مدار العام، وتزداد عامًا بعد عام، بأشكال وطرق هزليَّة مختلفة، تستهزئ بالعقل البشري.

- **الفرق بين الحسينية والحوزة الدينية:**

وهنا يجب الإشارة إلى الفَرق بين الحسينية والحوزة الدينية، فالكثير من الذين لم يحتكوا بأتباع دين الإمامية لا يعرفون ما هو الفرق بين هاتين المؤسستين، ويظنونهما واحدة.

والصحيح أن «**الحوزة**» تعدُّ بمثابة معهد إعداد رجال الدين، ومركز تدريس العقائد وتشريع الأحكام، وفق الأصول العقادية لدين الإمامية. وهي أصول اختلف فيها مراجع الإمامية ما إذا كانت خمسة أم ثلاثة؟ ومن هو المسلم؟ هل هو مَن أخذ بالأصول الخمسة، أم مَن أخذ بالأصول الثلاثة؟

فقد ذهبت فرقة منهم إلى القول بأن أصول الدين خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد .

- **وقد اختلف مراجع الإمامية في حكم المخالفين لهم:**

فقالت جماعة منهم: بتكفير المخالفين «السُّنَّة»؛ لإنكارهم ما علم من الدين ضرورة، وهي الإمامة، بحسب زعمهم .

وقالت جماعة أخرى: إن المخالفين فسَقَة. وذلك بحسب ما نقله أحد كبار مراجعهم «يوسف البحراني- مات سنة ١١٨٦ هـ»، مستندًا في رأيه على ما أورده محقِّقُهم: «الحسن بن يوسف الحِلِّي المعتزلي- مات

سنة ٧٢٦هـ» في كتابه «**كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**».

ويضيف البحراني قائلًا: ثم اختلف هؤلاء في أحوالهم- يعني المخالفين للإمامية- في الآخرة على ثلاثة أقوال:

١- فمنهم من قال: إنهم مخلدون في النار؛ لعدم استحقاقهم الجنة.

٢- وقال بعضهم: إنهم يخرجون من النار إلى الجنة.

٣- ما ارتضاه ابن نوبخت وجماعة من علمائنا: أنهم يخرجون من النار؛ لعدم الكفر الموجب للخلود، ولا يدخلون الجنة؛ لعدم الإيمان المقتضي لاستحقاق الثواب .

ويضيف البحراني: والقول المؤيَّد عندنا هو أول القولين- أي أنهم مخلدون في النار- وهو القول المشهور بين المتقدمين من أصحابنا[١].

(١) في «**يوسف البحراني: الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب**» في الصفحة (٨٤).

كان هذا رأي القائلين بأن أصول الدين الشيعي خمسة، وأن من يخالف أصلها الرابع- أي الإمامة- فقد دخل النار.

ولم يكن الذين ذكرهم «البحراني» وحدهم هم القائلون بالأصول الخمسة للشيعة، بل إن هناك آخرون من مراجع دين الإمامية مَن قال بذلك، ومنهم على سبيل المثال: صاحب كتاب «**عقائد الإمامية**» «ص ٦٥»، وصاحب كتاب «**بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية**» «٢/ ٥»، وصاحب كتاب «**الشيعة والتشيع**» «ص ٢٧»، وصاحب كتاب «**معالم الإمامة**» «ص ٣٣»... وغيرهم.

وبينما ذهب هؤلاء الغلاة للتأكيد على الأصول الخمسة لدينهم، فقد خالفهم آخرون من أبناء عقيدتهم في ذلك، قائلين: إن الأصول ثلاثة، هي: «التوحيد، والنبوة، والمعاد». أما الأصلان الآخران: «الإمامة، والعدل» فهما من أصول المذهب، وليسا من أصول الدين!

ومن بين الذين قالوا بهذا الرأي رجل الدين اللبناني

البارز: «محمد جواد مغنية- مات سنة ١٩٧٩م».. فقد ذكر أن الأصول ثلاثة، هي: «التوحيد، والنبوة والمعاد»، فمن شك في أصل منها، أو ذهل عنه قاصرًا أو مقصِّرًا، فليس بمسلم، ومن آمن بها جميعًا جازمًا، فهو مسلم(١).

وفي كتاب آخر قال مغنية: فالإمامة ليست أصلًا من أصول دين الإسلام، وإنما هي أصل لمذهب التشيع؛ فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد، والنبوة، والمعاد، ولكنه ليس شيعيًّا(٢).

وقد ذكر المرجع الشيعي المعاصر «محمد آصف محسني الأفغاني» قائلا: اعلم أن الإمامة وإن كانت عند الإمامية من الأصول دون الفروع، لكنها من أصول المذهب دون أصول الدين؛ فمن أنكرها لا يخرج عن الإسلام- إلا عند جماعة- بل يخرج من المذهب(٣).

(١) محمد جواد مغنية، «**مع الشيعة الإمامية**» (ص ٨).
(٢) محمد جواد مغنية، «**تفسير الكاشف**» (٣/ ١٦٠)، (٧/ ٧٣٢).
(٣) محمد آصف محسني، «**صراط الحق في المعارف الإسلامية والأصول الاعتقادية**» (ص ٢٠١).

أما رجل الدين الشيعي العراقي البارز «محمد حسين كاشف الغطاء- مات سنة ١٣٧٣هـ»، فقد ذكر أن الإسلام والإيمان مترادفان، ويطلقان على معنى أعم، يعتمد على ثلاثة أركان، هي: التوحيد، والنبوة، والمعاد[١].

- **سبب أخذ بعض مراجع الشيعة بالقول الثاني- أي بأن الأصول ثلاثة:**

يعلق على ذلك الباحث و الكاتب الإسلامي: «الشيخ علاء الدين البصير» قائلا: والقول بالرأي الثاني إنما جاء بعد التشنيع الذي وُجِّه للشيعة بعد أن كفّروا سائر المسلمين؛ فرأوا من المناسب تخفيف الهجمة بتغيير لهجة خطابهم، وعدم إثارة الناس عليهم، فقاموا- لاسيما المتأخرون منهم- بإشاعة القول أن الإمامة هي من أصول المذهب، لا من أصول الدين .

ويضيف الشيخ البصير قائلا: طبيعي أن الخلاف في العقيدة والمنازعات بين مراجع الصفوية لم يتوقف عند هذا الحد وحسب، وإنما هو أعم وأشمل من ذلك.

---

(١) «**أصل الشيعة وأصولها**».

فبينما نرى - على سبيل المثال- بعضهم يؤكد على وجود الروايات المستفيضة -حسب زعمه- من أن النبي ﷺ قد نص على خلفائه الاثني عشر واحدٍ بعد واحدٍ بأسمائهم- فقد ذهب بعضهم الآخر إلى مخالفة هذا الأمر جملة وتفصيلًا .

فعلى سبيل المثال: في الوقت الذي ينفي المرجع الأعلى للطائفة الإمامية «أبو القاسم الخوئي» في كتابه «**مسائل وردود**» (ص ١٢٤) الروايات التي تحدد أسماء الأئمة الاثني عشر، ويؤكد قائل: إن الروايات الواصلة ألينا قد حددت عدد الأئمة الاثني عشر، ولم تحددهم بالأسماء.

فإننا نجد في الوقت ذاته أن المرجع الحالي «محمد سعيد الحكيم» يخالفه الرأي، ويورد في كتابه «**في رحاب العقيدة**» (ص ٢١١) أربعة وستين حديثًا ينسبها إلى النبي ﷺ، جمعها من مصادر شيعية متعددة، فيها أسماء الأئمة الاثني عشر، كما يزعم[١] .

(١) (البصير- علاء الدين): كتاب «**الصلاة خير من النوم.. حقيقة أم اتهام**».

كان هذا شرحًا مبسطًا للتعريف بـ «**الحسينية**»، ووجه الفرق بينها وبين «**الحوزة الدينية**»، ودور كل منهما في المجال العقائدي والثقافي في حياة أتباع دين الإمامية.

وسوف ننتقل معك أيها القارئ الكريم إلى معرفة ثقافة الحسينية، وأهمية ما تقوم به من دور محوري في تكوين شخصية أتباع دين الإمامية.

تاريخ ظهور الحسينية

لم يعرف التاريخ الشيعي مركزًا أو مؤسسة دينية باسم«الحسينية» قبل القرن الثالث عشر الهجري، فبحسب مصادر الإمامية فإن تاريخ إنشاء أول حسينية في العراق- الذي يعد مركز مقدسات الإمامية- كان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث وضعت الحسينية كمركز لإقامة طقوسهم الدينية، أو ما يطلق عليه: «العزاء الحسيني»، بعد أن كانت مناسبات العزاء تقام في التكايا وفي البيوت .

وكانت أول حسينية شيدت في العراق في عام «١٢٩٧هـ - ١٨٧٦ م» في مدينة الكاظمية، وسميت

بـ«الحسينية الحيدرية».

وذلك استنادًا إلى ما ذكره رجل الدين الشيعي «إبراهيم الحيدري» في كتابه «**تراجيديا كربلاء**».

وذكر أيضًا: أن أول حسينية تأسست في مدينة النجف كانت «الحسينية الشوشترية»، في عام ١٨٨٤ م. وأن أول حسينية تأسست في مدينة كربلاء كانت في عام ١٩٠٦م[١].

وفي الكويت: فإن «حسينية محمد حسين بن نصر الله معرفي»، تعد أقدم الحسينيات في دول الخليج العربي، فقد تأسست في عام ١٩٠٥ م، كما هو مدوَّن على مدخلها الرئيسي.

وأما في البحرين: حيث الوجود الشيعي يعد قديمًا بالنسبة لوجوده في دول الخليج العربي الأخرى، كان لدى الشيعة ما يسمى بـ «التحاريم»، وهو ما عرف فيما بعد بـ «المأتم». ويعود وجود أول «مأتم» لسنة ١٨٦٩م، وكان يعرف باسم «عبد على أمان».

(١) «**تراجيديا كربلاء**» (ص ٦٨).

وذلك بحسب ما جاء في دراسة حول الشعائر الحسينية، نشر على موقع «**مجلة النبأ**»[١].

أما في لبنان: فلم يكن للشيعة عهد بالحسينية قبل منتصف ثمانينيات القرن الماضي، رغم أن التشيع في لبنان يعدُّ أقدم من وجوده في إيران، فحزب الله الذي تأسس عام ١٩٨٢ م من قبل النظام الإيراني، هو الذي قام بتأسيس الحسينيات في لبنان.

و من قبلُ كان المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، الذي تأسس على يد رجل الديني الإيراني «موسى الصدر» في سبعينيات القرن الماضي، قد أقام نوادي دينية سميت بـ«النادي الحسيني»، يجتمع فيها الرجال والنساء، وتقام فيها ما يسمى «مجالس العزاء الحسيني»، ولكن من دون هذه الطقوس التي يمارسها الشيعة اللبنانيون اليوم. وكان أول هذه النوادي قد تأسس عام ١٩٧١ م في مدينة النبطية.

وأما في إيران التي تعد مركز التنظير لثقافة

(١) http://www.siironline.org/alabwab/maqalat&mohaderat12/1103.htm

الحسينية، والتي تعتبر أدبياتها الفارسية الركيزة الأساسية التي تقوم عليها جميع القصص والأساطير الخرافية، التي تعجُّ بها ثقافة الحسينية، فان تاريخ بناء أقدم حسينية في العاصمة طهران يعود إلى ١٥٠ عامًا مضت، والتي سميت بـ«حسينية سيد إبراهيم سادات أخوي»[١].

وتذكر المصادر الإيرانية أن صاحب فكرة تأسيس هذه الحسينية هو «ميرزا مالكوم خان- مات سنة ١٩٠٨م»، الذي عمل سفيرًا لإيران في بريطانيا، قبل أن يصبح وزيرًا للخارجية في عهد حكومة «مرزا حسن خان» الملقب بـ«مشرالدولة»، في عهد الشاه «ناصر الدين قاجار».

وتعود أصول «مالكوم خان» إلى نصارى أصفهان «الأرمن»، قبل أن يتشيع والده ويصبح من المقربين للعرش القاجاري.

ومالكوم خان هو مؤسس أول محفل للماسونية في طهران، والذي يعرف باسم «جمعية فراموشخانة-

(١) المصدر: موقع نادي الصحفيين الإيرانيين «**باشگاه خبرنگاران**».

دارالنسيان»، أما المحفل الماسوني الثاني الذي أسسه مالكوم خان فعرف باسم «جعمية الرابطة الانسانية- مجمع آدميت».

ومالكوم خان هو أيضًا مؤلف كتاب «**الإصلاح**»، الذي اعتمد نظرياته قادة الحركة الدستورية في إيران في ثورتهم ضد الشاه مظفر الدين القاجاري سنة ١٩٠٦ م. وذلك بحسب ما جاء في العديد من الكتب الإيرانية التي تناولت تاريخ نشأة الحركة الماسونية في إيران[١].

من هنا نجد أن الحسينية ليست قديمة عهد في الثقافة الشيعية، وإنما هي ظاهرة مبتدعة قياسًا إلى التاريخ الشيعي الطويل.

ومن الملاحظ أيضًا: أن ظاهرة تكاثر الحسينيات في عموم مناطق تواجد الشيعة، إنما جاء في مطلع القرن العشرين، وذلك تزامنًا مع النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي، وتزايد المحافل الماسونية في إيران، والعراق، وبلاد الشام.

(١) (إبراهم صادقي نيا) «**فراماسونري وجمعيت هاي سري در ايران**» صفحه (٢٢، ٢٥).

طقوس ثقافة الحسينية

تنقل المصادر التاريخية الشيعية وغير الشيعية: أن أول من بدأ بصناعة ما سمي بـ«مجالس العزاء الحسيني» هم البويهيون، الذين استولوا على حكم بغداد في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ولكن تلك المجالس لم يكن يصاحبها آنذاك هذه الطقوس، التي أصبحت اليوم أحد أهم مظاهر مجالس العزاء الحسيني .

ففي عام ٣٥٢ هـ، دعا «معزّ الدولة الديلمي البويهيُّ - مات ٣٥٦ هـ» - الناسَ إلى إقامة العزاء في يوم عاشوراء في الطرقات، ثم اتخذ الصفوِيُّونَ بعد ذلك هذه الطقس عقيدةً لهم، بعد أن أضافوا إليها العديد من الطقوس والممارسات الأخرى، المأخوذ بعضها من ديانات مختلفة، وبعضها الآخر مبتدَع.

أما جوهر «**ثقافة الحسينية**» اليوم فهي قائمة على مسخ العقل الإنساني لأتباعها، وزرع الكراهية والأحقاد في نفوس الفرس والشيعة عامة ضد كل ما هو عربي

وسنِّيٍّ، وجعل الشيعة طائفة تابعة لإيران ومنغلقة على ذاتها، ومعادية لمحيطها الإسلامي والعربي.

ومن خلال الرجوع إلى رأي بعض رجال دين الإمامية المتأخرين بشأن هذه الطقوس، التي حولتها «ثقافة الحسينية» إلى عقيدة تتلاعب من خلالها بفكر أتباعها، فقد نقل كلٌّ من «محمد باقر الخوانساري - مات سنة ١٣١٣هـ»، والمحدِّث الملا «عباس القمي- مات سنة ١٣٥٩هـ»: أن «معز الدولة البويهي» كان هو من أمر بمواكب اللطم والنياح، وإقامة المآتم في السكك والأسواق.

وقال المرجع الشيعي الأبرز «أبو الحسن الأصفهاني- مات سنة ١٣٦٥ هـ»: لم نعهد أمور المآتم في زمن الأئمة المعصومين، ولم يُرَ في حديث أن أحدًا منهم يأمر بها[١].

وقال محققهم «جعفر بن الحسن الحلي- مات سنة ٦٧٦ هـ»: إن الجلوس للتعزية لم ينقل عن أحد من الصحابة والأئمة[٢].

(١) ملحق الجزء الثاني من كتاب «**صراط النجاة**» للخوئي (ص ٥٦٢).
(٢) كتاب «**المعتبر**» (ص ٩٤).

وأما المرجع الشيعي المعاصر «جواد التبريزي- مات سنة ٢٠٠٦م » ذكر: إن هذه الأمور طقوس لم تعهد في زمن الأئمة.

أما الكاتب والمفكر الإيراني الراحل الدكتور «علي شريعتي- مات سنة ١٩٧٧ م» فقد قال: إن الشاه الصفوي أرسل وزير الشعائر الحسينية- وهو منصب وزاري استحدثته السلطة الصفوية- إلى أوربا الشرقية، وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض، وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية، والطقوس المذهبية، والمحافل الاجتماعية المسيحية، وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحية، والوسائل المتبعة في ذلك، حتى أنماط الديكورات التي كانت تُزيَّن بها الكنائس في تلك المناسبات، واقتبَس تلك المراسيم والطقوس وجاء بها إلى إيران، حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها؛ لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشيعية، وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران؛ ما أدى بالتالي إلى ظهور

موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني، ولا في الشعائر الدينية الإسلامية.. ومن بين تلك المراسيم: النعش الرمزي، والضرب بالزنجيل «السلاسل» والأقفال، والتطبير، واستخدام الآلات الموسيقية، وأطوار جديدة من قراءة مجالس العزاء الحسيني جماعة وفرادى، وهي مظاهر مستوردة من المسيحية، بحيث بوسع كل إنسان مطَّلع على تلك المراسيم أن يشخص أن هذه ليست سوى نسخة من تلك[1].

وعن تفسيره لهذه الطقوس، يقول عالم الاجتماع العراقي الشهير «الدكتور علي الوردي- مات سنة ١٩٩٥م»: إن خضوع الناس إلى فكرة التطبير والاقتناع، بها ومِن ثمَّ ممارستها يرجع إلى مفهوم «التنويم الاجتماعي»؛ فله أثر بالغ في شلِّ التفكير، فالذي يقع تحت وطأته لا يستطيع أن يفكر إلا في حدود ما يُملَى عليه الإيحاء التنويمي العام، وأنت

(١) (التشيع العلوي والتشيع الصفوي «علي شريعتي»، فصل: نصرانية الغرب والتشيع الصفوي في كربلاء) الصفحة (٢٠٦).

لا تستطيع أن تجادله أو تباحثه مهما يكن دليلك إليه صارخًا[١].

وعمَّا إذا كانت ما تسمَّى بمجالس التعزية قامت قبل إنشاء الحسينية أم لا.. فان المصادر الشيعة تتحدث عن وجودها، ولكن ليس بالشكل والأسلوب التي هي عليه اليوم.

فتتحدث مصادرهم أن تطوير هذه المجالس جاءت على يد شيخهم «فخر الدين الطريحي- مات ١٠٨٥ هـ»، فهو يعدُّ أول من قام بتأليف كتاب «**المنتخب**»، متِّبعًا أسلوبًا جديدًا من أجل تطوير طريقة مجالس التعزية، وتحديد مهامها، وتوزيع المجالس حسب الليالي العشرة الأولى من شهر محرَّم؛ إذ أورد في كل ليلة أو مجلس قصة ومرثية تناسب المقام، وتتناول مناسبة تلك الليلة، وقسَّمها بشكل عام إلى خمسة أقسام:

١- المجالس التي عقدت قبل خلق آدم.

٢- المجالس التي أقيمت بعد آدم وقبل ولادة الحسين.

(١) «مهزلة العقل البشرى» (ص ٢٩٩).

٣- المجالس التي عقدت قبل شهادته.

٤- المجالس التي عقدت بعد شهادته في الدنيا.

٥- المجالس التي ستعقد في القيامة بعد فناء الدنيا .

وما يزال قراء المراثي يرجعون إلى ذلك الكتاب حتى يومنا هذا.

وهذه المجالس تعتمد قصص شعبية لا إسناد لها، وتلقى على الحضور في الحسينية أو في المواكب على طريقة الحكواتية أو القصاصين الذين يجتمع الناس حولهم في المقاهي، ويبدءون بقص الحكايات المختلفة؛ من قبيل قصة ألف ليلة وليلة، وقصة الزير سالم، وأبو زيد الهلالي.. وغيرها من الأمثلة الأخرى .

وتورد الروايات الشيعية أن النياحة قد تطورت إلى قراءة «مقتل الحسين» لابن طاوس وابن نما، وهي من كتب المقاتل.. ومن ذلك الحين أطلق على من يقرأ النياحة في عاشوراء اسم: «قارئ المقتل»، أو: «القارئ».

ثم أُلِّفَتْ عدة كتب خاصة كانت بمثابة المادة التي

يلقيها القراء، ولعلَّ من النماذج التي تذكَر في هذا الباب كتاب «ابن نما الحلي- مات ٦٤٥ هـ» المعروف بـ«**مثير الأحزان**»، وكتاب «**اللهوف في قتلى الطفوف**» لـ«ابن طاوس الحلي- مات ٦٦٤ هـ»، وكتاب «**المجالس الحسينية**» لـ«**جعفر الشوشتري**».

وعند الاحتلال البريطاني للعراق عام «١٩١٧م» تطور الأمر حيث اتبع الإنكليز سياسة الترغيب والتحبيب مع الشيعة بعد ثورة العشرين فأخذوا برعاية ما يعرف بالمواكب والمجالس الحسينية بصورة خاصة وأجازوا إقامة المآتم والاستعراضات المسرحية التي تقام في يوم عاشوراء والتي تسمى شعبيا بـ«التشابيه».

وفي عام (١٩٢١م) وعند تأسيس الحكومة العراقية الأولى، أعلن يوم عاشوراء عطلة رسمية لأول مرة احتفاءً بذكرى استشهاد الإمام الحسين رضي الله عنه، وسمح بإقامة ما يسمى «مراسيم العزاء الحسيني»[١].

(١) «**تراجيديا كربلاء**» لإبراهيم الحيدري.

الفصل الثاني

أكذوبة قدسية الحسينية

من أين جاءت قدسية الحسينية؟
قدسية الحسينية المزعومة صنعتها أساطير وحكايات مَن يسمون بأرباب المنبر الحسيني - قراء المراثي-

رغم أن الحسينية تعدُّ مركزًا دينيًّا مستحدَثًا في دين الإمامية، كما أشرنا من قبلُ، إلا أن القائمين على هذا المركز صبغوا عليه هالة من القدسية، فاقت قدسية المسجد في الإسلام، وركزوا على بناء الحسينيات، حتى أصبح عندهم في بعض المناطق مقابل كل مسجد مئة حسينية، رغم أن المسجد ذكر في القرآن الكريم «٢٨ مرة»، سواء بصيغة مفردة، أو بصيغة الجمع، وشرَّع له الإسلام أحكامًا تؤكد على قدسيته، إلا أن ذلك لم يشفع للمسجد ليحتل مكانته اللازمة في حياة

أتباع ثقافة الحسينية بقدر معشار ما تحتله الحسينية من أثر في نفوسهم، رغم أن الحسينية لم يرد ذكرها في القرآن، أو في السنة النبوية، أو في أقوال أهل البيت وأئمة المسلمين، ولو لمرة واحدة!

● **إذن مِن أين جاءت قدسية الحسينية؟**

إن قدسية الحسينية المزعومة صنعتها أساطير وحكايات مَن يسمون بأرباب المنبر الحسيني- قراء المراثي- وذلك للأهداف التالية:

أولًا: تعظيم الحسينية في أعين أتباعهم كمركز خاص بالشيعة، لا يشاركهم فيه أحد غيرهم.

ثانيًا: تعظيم منزلة مروِّجي «ثقافة الحسينية» من أجل إخضاع العوامِّ لسلطتهم، باعتبارهم خدام الشعائر الحسينية على حد تعبيرهم.

ثالثًا: تعظيم الطقوس التي تُقَامُ في الحسينية؛ فقدسيَّة المكان تضفي قدسية على الطقوس، والعكس كذلك، مما يشكل أثرًا بالغًا على نفسية وفكر المتلقِّي لهذه الثقافة.

رابعًا: جمع المال بحجة ديمومة الشعائر الحسينية.

فالمال عامل مؤثر في نشر «ثقافة الحسينية»، ومصدر دخل أساسي لقراء المراثي الذين لا يجيدون عملًا آخر غير صناعة وترويج «ثقافة الحسينية».

خامسًا: ترسيخ فكرة أن كل ما هو منسوب لأهل البيت فهو مقدَّس؛ مما يساعد على ترسيخ مفهوم قوة العقيدة.

سادسًا: كسب الوجاهة والمنزلة الاجتماعية. فتاجر المخدرات إذا أراد أن يصبح وجيهًا في المجتمع، يقوم بفتح حسينية، والمتعامل بالربا إذا أراد أن يغطي على عمله الحرام يقوم بفتح حسينية، والتاجر الغشاش إذا أراد أن يبعد الشبهة عن نفسه يقوم بفتح حسينية، وهكذا دواليك.. وكل واحد من هؤلاء يستأجر له احد الملالي، أو ممن يعرَفون بقرَّاء المراثي، ويدفع له بسخاء، ويقوم الأخير بتلميع صورة هذا المرابي، أو التاجر الغشاش، أو مروج المخدرات، أمام الرأي العام بحجَّة أنه صاحب حسينية، وخادم أهل البيت... وهكذا، وعندها ينسى الناس كل أعماله القذرة، ويقومون بالدعاء له، ويكيلون له المدح والثناء.. وعندنا على ذلك أمثلة كثيرة.

ومن هنا أيضًا يمكن أن نعرف السبب وراء قصص المعجزات والكرامات، التي تنسب لهذه الحسينية أو تلك، في هذا البلد أو ذاك؛ فإننا كثيرًا ما نسمع ونقرأ عن قصة ظهور معجزة لحسينية في البصرة، أو في البحرين، أو في القطيف، أو في الأحساء، أو في أصفهان، أو طهران، أو في جنوب لبنان، أو في الكويت، أو الهند، أو غيرهما من البلاد والمناطق ذات التواجد الشيعي .

ومن بين تلك المعجزات والكرامات الوهمية التي تنسب للحسينيات.. أتذكر على سبيل المثال قصة مضحكة لا أنساها، حدثت منتصف سبعينيات القرن الماضي في منطقتنا «القصبة» من توابع مدينة عبادان في إقليم الأحواز.. فكانت هناك حسينية تسمَّى «حسينية العطاشى»، كان الناس يتوافدون عليها في أيام عاشوراء من مختلف القرى والمناطق المجاورة؛ للتبرك بتراب هذه الحسينية، وكان يوجد فيها حفرة تحت المنبر الذي يقع في أحد زواياها، وكان الزوَّار يأخذون من طينها ويمسحون به أبدان مرضاهم، ويضعونه في

أفواه أطفالهم بنية الشفاء؛ حيث أوهمهم صاحب الحسينية أن هذه الحفرة هي بئر حفره الإمام العباس بن علي بن أبي طالب، الذي قتل مع أخيه الحسين في وقعة كربلاء، وهو في ثقافة الحسينية يحظى بمنزلة البطل المقدام، والولي المستجيب للدعوات. وكان الناس يتصارعون للوصول إلى الحفرة والأخذ من طينها؛ للتبرك به.

وفي إحدى الليالي طاردت الشرطة ثلاثة من المهرِّبين، كان أحدهم جار لنا، ولم يجدوا ملاذًا غير تلك الحسينية؛ للاختفاء من أعين الشرطة.. وقد طرح أحد المختفين فكرة على زملائه بأن يقوموا بطلي وجوههم بالطين؛ من أجل التنكر، حتى لا يعرفهم أحد، ويخبر الشرطة عنهم.. فراح يمدُّ يده في البئر المبارك الذي تحت المنبر، فوجد البئر ممتلئًا بالماء، فأثار ذلك في نفسه الاستغراب، وحدَّث أصحابه عن استغرابه لهذا الأمر، ثم ظلوا مختفين حتى الفجر، فذهب مرة أخرى إلى البئر فوجده قد انحسر عنه الماء، وهنا اكتشف قصة معجزة البئر المزعومة التي روَّجها

صاحب الحسينية لاستغفال الناس من أجل جلب المال منهم؛ فقد كانت الحسينية تقع على ضفة النهر الذي كان الماء يجري فيه مدٌّ وجزر، فحين يأتي المد يمتلئ البئر بالماء، وحين الجزر ينحسر عنه الماء، وبهذه الطريقة يتكوَّن الطين في الحفرة المباركة!

وبعدما فضح جارنا قصةَ المعجزة المختلَقة، اتهموه بمعادة أهل البيت، وتأثره بالفكر الوهابي، حتى إنه أجبر على الهجرة من المنطقة لشدة ما لقيه من أذى.

ولكن قد سائل يسأل لماذا معجزات أهل البيت تظهر لأتباع ثقافة الحسينية فقط؟!

في قراءة لسير الأنبياء، من نوح، إلى إبراهيم، إلى سليمان، ويونس، وموسى، وعيسى، وانتهاءً بنبينا محمد، صلوات الله عليهم جميعًا، نجد أن معجزاتهم إنما جاءت في حياتهم، وانها جاءت لإثبات نبوتهم، وإقناع الكافرين برسالاتهم.

أي إنها كانت موجهة لإفحام خصومهم، ولم تكن موجهة لإقناع المؤمنين بنبوءاتهم ورسالاتهم، كما أن

جميع تلك المعجزات وقعت في حياة الأنبياء، وليس بعد وفاتهم.

إلَّا أن ثقافة الحسينية ابتدعت أمرًا مختلِفًا عن ذلك، حينما ذَهَبَت إلى اختلاق معجزات وهميَّة للأموات، وروَّجتها بين أتباعها، واقنعتهم بأن هذه المعجزات والكرامات إنما هي حقائق، وناكرها ليس فقط ناكرًا لولاية أهل البيت، بل إنه معادٍ لهم!.

وقد اعتمدت «**القياس**» الذي هو بالأساس محرَّم في عقيدتها، كدليل على إثبات هذه الكرامات والمعجزات الوهميَّة .

ومن هنا أصبحنا نشاهد في كل يوم أكثر من معجزة وكرامة لصاحب ضريح، أو مقام، أو قبر منسوب لإمام أو ابن أو بنت إمام .

وقد تجاوزت هذه المعجزات والكرامات ذرِّيَّات الأئمة لتصل إلى خدَّامهم، وطلبتهم، وحتى الدوابّ التي كانوا يركبونَها من خيل وبغال وحمير .

كما أصبحت هذه المعجزات والكرامات تظهر على

الصور، والحيطان، وأواني الطبخ، وغيرها.. والغريب أنها لا تظهر إلا بين المؤمنين بإمامة أهل البيت، أو بما يسمونهم الموالين .

والسؤال: لماذا تظهر هذه المعجزات والكرامات لدى الموالين، ولا تظهر لغيرهم لكي يؤمنوا بإمامة أهل البيت، كما كان يفعل الأنبياء والرسل لإقناع مخالفيهم إن كانت هذه المعجزات والكرامات حقيقية كما يزعمون؟!

والمضحك المبكي من تصرفات ضحايا «**ثقافة الحسينية**» أن بعض عوامِّهم تجده يدخل المسجد ويسرق الأحذية، وليس في نفسه خوف من الله، ولا هيبة لقدسية المسجد، ولكنه يهاب فعل ذلك في الحسينية؛ على اعتبار أن الحسينية مقدسة، وأن أي تطاول على قدسيتها سوف يعرِّضه لعقاب فوري وشديد من أهل البيت!!

ترى هل فكَّر أتباع ثقافة الحسينية في السبب وراء كثرة انتشار شائعة هذه المعجزات والكرامات، خصوصًا في هذه المرحلة التي تشهد حربًا طائفية وصليبية ضد الإسلام والمسلمين؟

أثر ثقافة الحسينية في بناء الشخصية الشيعية

هناك علاقة وثيقة بين ثقافة المجتمع وشخصية الفرد الذي يعيش في إطاره.. فكما أن الفرد يولد داخل مجتمعٍ ما، فهو يولد أيضًا داخل ثقافة خاصة تشكل شخصيته.. فالثقافة هي الإطار الأساس والوسط الذي تنمو فيه الشخصية، وهي التي تؤثر في أفكاره، واتجاهاته، وقيمه، ومعلوماته، ومهاراته، وخبراته، ودوافعه، وطرق تعبيره عن انفعالاته ورغباته .

يقول الأستاذ معتصم زكي السنوي: وتدل البحوث التربوية الأنثروبولوجية على أن طابع الشخصية ذو علاقة وثيقة بنمط الثقافة التي تخضع له «الشخصية»، أي أن الشخصية مرآة تعكس بصدق صورة الثقافة، أو كما يقول «**دوسن وجتيز**»: إن الشخصية ممثلة للثقافة التي نشأت فيها[١].

(١) معتصم زكي السنوي «أثر الثقافة في بناء الشخصية».

وفي هذه الحدود يمكننا أن نبرز أثر «ثقافة الحسينية» في بناء الشخصية الشيعية؛ حيث أنتجت هذه الثقافة شخصية محمَّلة بعقد نفسية، وأحقاد شعوبية، وكراهية طائفية لا حصر لها.. فعلى سبيل المثال تتصف شخصية أتباع ثقافة الحسينية بالأوصاف التالية:

أولًا: الازدواجية.

وعلاماتها: الكذب، والنفاق، والمراوغة، والخداع.

وكل هذه الأمور مبرَّرة عندهم، ويتم تغطيتها في العلاقة مع الآخر- أي السني- بعباءة المصلحية، أو ما يطلق عليه «التقيَّة». وهي أحد أبرز وجوه النفاق.

ثانيًا: عدم القدرة على المواجهة في الحوار أو النقاش، فتجدها قد توافقك الرأي في لحظة، ولكن بمجرد أن تبتعد عنك تنقلب على عقبيها. وهنا يحضرني قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

يلقاك يحلف أنه بك واثقٌ وإذا توارى عنك فهو العقرب

ثالثًا: شخصية محمَّلة بعقدة تاريخية تعمل على التخلص منها بجلد الذات، عبر استخدام أقسى الممارسات العنيفة واللاإنسانية الأخرى.. وهي تعمل ذلك بحجة محبة أهل البيت؛ للهروب من الاعتراف بواقع وجود هذه العقدة.

رابعًا: الرغبة في الانتقام من العرب وأهل السنة؛ فشعار «**يا لثارات الحسين**»، و«**كل أرض كربلاء، وكل يوم عاشوراء**». ما هي إلا تعبير عن رغبة في الانتقام من أهل السنة الذين تحمِّلهم «ثقافة الحسينية» مسئولية ما تسمية «مظلومية أهل البيت»، ومقتل سيدنا الحسين رضي الله عنه.

خامسًا: شخصية حقودة: فهي إضافة إلى كونها حاقدة على العرب وعلى أهل السنة، فإنها في الوقت نفسه حاقدة على أبناء طائفتها الذين يقلِّدون مرجعًا آخر غير المرجع الذي تقلِّده هي.. ومن هنا نجد الخلافات والصراعات بين أتباع المرجعيَّات، والتي تأخذ أحيانًا طابعًا إجراميًّا.

سادسًا: شخصية لا تهتم بالتاريخ الإسلامي، ولا تعرف منه سوى بعض الحوادث التي قتل فيها بعض من أهل البيت؛ نتيجة لصراعات سياسية مع السلطة.. وقد تربَّت هذه الشخصية على ثقافة ترى أن كل ما في التاريخ الإسلامي غير واقعي، ومخالف للمنهج الشيعي، وهو تاريخ مزيَّف، كتبه علماء وأمراء عرب وسنة.

سابعًا: شخصية كئيبة، تشكَّلت عندها هذه الحالة من «الكآبة» من خلال حالة اللاوعي، الذي رسخه الحزن الدائم التي تعيشه؛ بسبب كثرة مناسبات العزاء التي تقام على مدار العام، والمصاحبة للطقوس العنيفة المقرونة بالبكاء والعويل، وترفع فيها الألوان السوداء والحمراء، والرسومات التي ترمز إلى الحزن والدم؛ فأصبحت يبكيها الصوت الشجي، والنغم الحزين، حتى وإن كان صوت غناء، فالبكاء عندها حالة لا إرادية.

ثامنًا: يشعر أتباع «ثقافة الحسينية» العرب بالدونية أمام الإيرانيين؛ فبالنسبة لهم الإيراني قدوة باعتباره الأفضل علمًا وحضارة وسلوكًا؛ ولهذا تجد أن تسعة

وتسعين بالمائة من مراجع دين الإمامية وزعماء الحوزة الدينية- قديمًا وحاضرًا- هم من الإيرانيين، وذلك بسبب الثقافة التي تربَّى عليها الشيعة في الحسينية .

تاسعاً: إذا كان العلمانيون قد طرحوا مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة لجذب الناس لدينهم، والديمقراطيُّون طرحوا مسألة كشف الحجاب لكسب النساء لصفهم، وأصحاب الشركات الرأسمالية استخدموا المرأة للترويج لصناعاتهم، فان «ثقافة الحسينية» لم تقصِّر هي الآخر في هذا الجانب؛ فقد شرَّعت حضور النساء في المواكب، وما يسمى الشعائر الحسينية، وزيارة الأضرحة والمقامات؛ لأغراء الشباب من أجل جلبهم للحسينيات، والمشاركة في مواكب اللطم والتطبير، وتسيير مواكب المشي المختلطة من مسافات طويلة لزيارة الأضرحة .

وقد أصبح قراء المراثي بدورهم يتفنَّون في قراءة الأشعار الحماسية والحزينة بالألحان العاطفية، والأصوات الشجيَّة؛ لإثارة عواطف النساء مما يؤدي إلى تعالي صراخهن وبالتالي تهييج الرجال، من خلال

سماع أصوات صراخ النساء.. فالشباب في الحسينيات ومواكب اللطم والتطبير كلما سمعوا صوت بكاء وصراخ النساء يتعالى، تجدهم يزدادون حماسًا وتهيجًا، وينغمسون أكثر فأكثر في حالة اللاوعي.

وقد كشفت لنا أحداث العراق عقب استلام اتباع «**ثقافةَ الحسينية**» زمام السلطة في بغداد، عن مدى قسوة مشاعر الحقد والكراهية وحب الانتقام التي يحملونها تجاه العرب وأهل السنة عامة.. فطقوس التطبير، وجلد الظهور بالسلاسل الجارحة، هي أبشع أنواع العنف الذي يمارسونه ضد أنفسهم، حتى أصبح هذه العنف جزءًا من تكوينهم النفسي والسلوكي، وهو ما أفضى إلى الإجرام البشع الذي شاهدناه يمارس ضد أهل السنة في العراق عقب الاحتلال الأمريكي، من خلال صور تعذيب السجناء بالمثاقيب، وقلع العيون، وبتر الأطراف، وحرق المعتقلين، وغيرها من صور العنف المعبأة بروح الحقد، والكراهية، والطائفية، والعنصرية .

وبعد هذا يزعمون أن هذه الطقوس التي يؤدونها- بوحشية- إنما هي تعبير عن محبتهم لأهل البيت ﷺ!!

وهنا نتساءل: هل النفوس والقلوب المعبئة بالأمراض النفسية والأحقاد الطائفية والشعوبية العنصرية، يمكن أن يبقى فيها مكان للحب أصلًا حتى تزعم أنها تحب أهل البيت؟!!

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فهل أبقت «**ثقافة الحسينية**» قلبًا سليمًا لأتباعها؟!!

إني أشك في ذلك.

* * *

الحسينية تأخذ مكان الحوزة، وقرَّاء المراثي يأخذون مكان المراجع

إن مَن يتابع ما يدور في الساحة الشيعية، يجد أن الحسينية بثقافتها التي نشاهدها اليوم قد أخذت مكان الحوزة الدينية؛ فقد أصبحت الحسينية منتِج الثقافة، ودار العبادة، ومحور الحركة، ومركز التوجيه، وأصبحت متبوعة من قِبَلِ الحوزة، لا تابعة لها كما كانت عليه فيما مضى.

لقد أصبح ملالي الحسينية، أو مَن يسمَّون بأرباب المنبر الحسيني، يزاحمون مراجع الحوزة بشعبيتهم، وبثرائهم المالي، ومنزلتهم الاجتماعية، حتى لم يَعُدْ أحد من المراجع يجرؤ على إنكار أو حتى انتقاد الخرافات التي يبتدعونها، والتي بلغت حدَّ الهزل، وتسببت في ترك أفواجًا من الشيعة لدينهم.

لقد بات مراجع التقليد في الحوزة الدينية محاصرين بأعداد هائلة من هؤلاء- قرَّاء المراثي- الذين كل ما

يملكونه من علم عبارة عن الصوت الشجي المثير للحزن، والحفظ الواسع للقصائد والأشعار الحزينة، والمعرفة بأصول المقامات، والأطوار الغنائية التي تبعث على الشجن وإثارة العواطف، والقدرة على اختلاق البدع، ونسج القصص والروايات الأسطورية.. فهذه الأمور تمثل مجمَل علم قرَّاء المراثي، الذين أصبحوا يتحكمون بالطائفة الشيعية، ويوجِّهونها كيفما شاءوا من خلال الحسينية.

أما المراجع، أو آيات الله العظام الذين يتصدون للفتاوى وإدارة التعليم في الحوزة الدينية، فهؤلاء يعيشون في أماكن مغلقة لا يراهم عوام الناس، إلا طلبتهم أو المقربين منهم فقط، أما تواصلهم مع أتباعهم، فيتم عبر وكلائهم المنتشرين في مناطق عدة، والذين تنحصر مهامُّهم في جمع أموال الخمس، أو ما يسمى بالحقوق الشرعية من المقلِّدين، وتوزيع كتب الفتاوى عليهم، والتي يسمونها «**الرسائل العلمية**». وأغلب هؤلاء الوكلاء أمِّيُّون لم يبلغوا من التعليم الديني سوى مرحلة المقدمات، وهي المرحلة الابتدائية

في التعليم الحوزوي.

ولكن قد سائل يسأل: هل من سبب أخر يقف وراء سكوت المراجع على تمادي قراء المراثي ومروِّجي «ثقافة الحسينية»، الذين أصبحوا القائد والموجه للشارع الشيعي؟

في الواقع إن سكوت المراجع على هؤلاء يعود لسببين:

السبب الأول: يعود لحصولهم على أموال طائلة من أصحاب الحسينيات الذين يشتركون مع قرَّاء المراثي بالمكاسب المالية التي يجنونها من ضحايا «ثقافة الحسينية».

والسبب الثاني: يعود إلى خشية كل مرجع على سمعته، وفقدان مكانته بين العوام إذا ما استغل نقده لهذه الطقوس من قبل قرَّاء المراثي للتشهير به من على منابر الحسينيات.

ومحاذير المرجعيات هذه لها ما يبررها من وجهة نظر مقلِّديهم؛ فهناك مواقف نقدية حصلت من قِبَلِ بعض

المراجع ورجال دين بارزين، كانت نتائجها باهظة الثمن عليهم.

فعلى سبيل المثال: يعد السيد «محمد عبد الحميد الموسوي- المشهور بأبي الحسن الأصفهاني- مات سنة ١٣٦٥هـ» زعيم الحوزة الدينية، والمرجع الأبرز للطائفة الشيعية في حينه، قد دفع ثمنًا باهظًا جرَّاء فتواه الشهيرة بحرمة التطبير[١]؛ حيث أثار ذلك غضب الكثير من قراء المراثي، وأصحاب الحسينيات والمواكب، ومنهم صاحب أكبر موكب تطبير في النجف كان اسمه «علي القمي»، فقد اعتبر علي القمي أن فتوى المرجع الأصفهاني حربٌ على الحسين، فقرر الانتصار للشعائر الحسينية، فبات طوال الليل يشحذ سكينه، ومع الفجر توجه لأداء صلاة الجماعة بإمامة الأصفهاني، في المقام المنسوب لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحدد هدفه.. نجل المرجع «**حسن محمد الأصفهاني**» الذي كان يصلي خلف أبيه.. وعند السجود قام بنحر الشاب

(١) (التطبير): لفظة عامية، تستخدم في العراق، وفي إيران يسمى: (قمه زن)، ويقصدون به: ضرب الرءوس بأداة حادة.

وقتله خلف والده المرجع، وفيما بعد اضطر المرجع أبو الحسن الأصفهاني إلى الطلب من السلطات العراقية بالإفراج عن قاتل ولده؛ وذلك حفاظًا على مكانته، وربما حياته أيضًا.

وفي هذا الإطار أيضًا كان لرجل الدين الشيعي المعروف «السيد محسن الأمين العاملي- مات سنة ١٣٧١ هـ» صاحب الكتاب المشهور«**أعيان الشيعة**» موقفًا من طقوس «ثقافة الحسينية»، وقد كتب رسالة في نقدها بعنوان: «**رسالة التنزيه في تنقية الشعائر الحسينية**» جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

دور إبليس:

فإن الله سبحانه وتعالى أوجب إنكار المنكر بقدر الإمكان؛ بالقلب، أو اليد، أو اللسان، ومن أعظم المنكرات اتخاذ البدعة سنَّة، والسنَّة بدعة، والدعاية إليها، وترويجها، ولمَّا كان إبليس وأعوانه إنما يُضِلُّون

الناس من قِبَلِ الأمر الذي يروج عندهم، كانوا كثيرًا ما يضلون أهل الدين من طريق الدين، بل هذا من أضرِّ طرق الإضلال، وقلَّما تكون عبادة من العبادات أو سنَّة من السنن لم يُدخِل فيها إبليس وأعوانه ما يفسدها.. فمن ذلك إقامة شعائر الحزن على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، التي استمرت عليها طريقة الشيعة من عصر الحسين عليه السلام إلى اليوم .

ولما رأى إبليس وأعوانه ما فيها من المنافع والفوائد، وأنه لا يمكنهم إبطالها بجميع ما عندهم من الحيل والمكائد، توسلوا إلى إغواء الناس بحملهم على أن يُدخِلوا فيها البدع والمنكرات، وما يشينها عند الأغيار؛ قصدًا لإفساد منافعها وإبطال ثوابها، فادخلوا فيها أمورًا أجمع المسلمون على تحريم أكثرها، وأنها من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هدد الله فاعلها وذمَّه في كتابه العزيز».

لكن الأمين واجه حملة كبيرة ضده؛ إذ هاجمه قرَّاء المراثي والعوام، وهددوه، وشتموه، وطردوه من الشام، ونظمت القصائد ضده، منها قولهم:

يا راكبًا وإذا مررت بجلّق فابصق بوجه أمينها المتزندق

وكان الناس يشربون الماء ويلعنون الأمين، وقد كُتِبَ ذلك على صناديق الماء في الشوارع والحسينيات.

كما ألَّف «مرتضى المطهري»، وهو رجل دين وفيلسوف إيراني، قتل في بداية انتصار الثورة الإيرانية ١٩٧٩ م، كتابًا من ثلاث مجلدات، سماه: «**الملحمة الحسينية**»، ناقدًا فيه قرَّاء المراثي والطقوس والبدع، **فيقول**: «لقد حرَّفنا عاشوراء ألف مرة ومرة، في عرضها، ومقدِّماتها، ومتنها، وحاشيتها، وتفسيرها، وتحليلها، بسبب العلماء والرواة، وعلينا أن نبكي بسبب الأكاذيب التي ألصقها الخطباء بالواقعة، وأدخلها الفقهاء إلى البدع في الدين، مما يجب التصدي لها. وقد اشتهر الحديث النبوي: «**إذا ظهرت البدع، فعلى العالم أن يظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»».

وبدوره تعرض محمد حسين فضل الله (مرجع شيعي عربي معروف مات سنة ٢٠١٠م) لحملة تسقيطية كبيرة لنقده التطبير والطقوس، وكيف أن المطبرين قد يشربون

الخمرة من أجل الإحماء، مقدمة للتطبير، ويمارسه مَن لا يصلي، ولا يلتزم بالفرائض، وقال: «إنَّ التطبير يسيء إلى الإسلام باعتبارها تجعل من ذكرى عاشوراء مناسبةً لتعذيب النفس وجلد الذات.. فيحرم التطبير لسببين:

الأوَّل: لحرمة الإضرار بالنفس.

وثانيًا: لأن ذلك يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين[1]».

وتحت عنوان: «**أكفان للأحياء**» كتب رجل الدين الشيعي اللبناني المشهور «الشيخ محمد جواد مغنية» قال: «**عندما سألني أحد علماء السنة عن التشيع**». ومما قاله: «إنَّ السبب لهذه التفرقة هو الاستعمار، وعملاء الاستعمار يثيرونها ويغذُّونها بكلِّ وسيلة، ومن هذه الوسائل: أن الإنجليز يهدون ألف كفن في شهر المحرم للضاربين أنفسهم بالسيوف والسلاسل، وأرادت أمريكا أن لا تفوتها الفرصة؛ فأهدت هؤلاء ألفي كفن».

وهنا يتوقف الشيخ مغنية ويقول معلِّقًا: «لقد حزَّ الألم

(١) «**عاشوراء بين الطقوس والشعائر**» لنبيل الحيدري.

في نفسي لهذه الحقيقة المُرَّة، وأحسست عند سماعها أنَّ كل عضو في جسمي يُنتزع قسرًا، ولكنِّي تجلَّدت وأخفيت ما أنا فيه»[١].

* * *

(١) «كتاب: تجارب محمد جواد مغنية»

الفصل الثالث

أساطير الشعوبية في ثقافة الحسينية

مستوحاة من أساطير كتاب الشاهنامة «**ملحمة الملوك**»، لمؤلفه شاعر الشعوبية الشهير «أبو القاسم الفردوسي»، الذي دوَّن فيها ملاحم أسطورية لملوك الفرس قبل الإسلام .

إن الناظر في الأدب الفارسي يجد «الأسطورة» تشكل جزءًا كبيرًا من تكوينه؛ مما أدى بانتقالها إلى النصوص الدينية، قديمًا وحاضرًا، الأمر الذي انعكس بصورة واسعة على الثقافة الشعبية الإيرانية .

ومن هنا عندما نقول: إن «**ثقافة الحسينية**» مغرقة بالروايات والقصص الأسطورية المستوحاة نصوصها من الكتب الأدبية الفارسية القديمة، فإننا لا نغالي في ذلك.

فإذا ما تمعَّنَّا بالروايات والحكايات التي يسردها قراء

المراثي، أو مَن يسمَّون «**خطباء المنبر الحسيني**» عن واقعة مقتل سيدنا الحسين رضي الله عنه، وما يصاحبها من طقوس خرافية، نجد أن أغلبها مستوحاة من أساطير كتاب الشاهنامة «**ملحمة الملوك**»، لمؤلفه شاعر الشعوبية الشهير «أبو القاسم الفردوسي- مات سنة ١٠٢٠ م»، الذي دوَّن فيها ملاحم أسطورية لملوك الفرس قبل الإسلام .

ناهيك عن الروايات الأسطورية التي ابتدعها مَن أطلق عليهم «**رواة مقتل الحسين**»، ومِن أبرزهم: «أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم- مات سنة ١٥٧ هـ»، الذي يعده الشيعة المؤرِّخ الأول لواقعة كربلاء، وأحد أصحاب الإمام السادس جعفر بن محمد «الصادق»، وهو الذي أجمع أئمة الجرح والتعديل من أهل السنة والجماعة على الطعن في مصداقيته، ومن أقوالهم فيه:

قال صاحب «**القاموس**»: إن أبا مخنف أخباريٌّ شيعي تالف متروك.

وقال فيه أبو حاتم الرازي: إنه متروك الحديث.

وقال الدارقطني: أخباري، متروك الحديث. وقالوا: إنه كان يروي عن جماعة من المجهولين.

وقال يحيى بن معين: ليس بثقة .

وقال ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم.

قال الذهبي: أخباري تالف، لا يوثق به[١].

ومما يؤسف له أن بعض مؤرخي أهل السنة من أمثال: الطبري، وابن الأثير قد نقلوا عن لوط بن يحيي الكثير من الروايات، رغم اشتهاره بالكذب، الأمر الذي أوجد عوارًا كبيرًا في روايتهم التي جاءت عن طريقه .

أما الكتاب الثاني الذي وضع في مقتل سيدنا الحسين، فهو الكتاب المعروف بـ«**مقتل الخوارزمي**»، لمؤلفه «**أبو المؤيد** الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، المعروف بأخطب خوارزم- مات سنة

(١) «**موسوعة ويكيبيديا**».

٥٦٨ هـ»، وقد أطبق قراء المراثي في قصصهم على الاستشهاد بهذا الكتاب .

وقد قيل عن أخطب الخوازم: إنه شيعي معتزلي، وحاطب ليل، ولا علم له بعلم الحديث، وهو باللغة والخطابة والشعر والأدب والفقه أعلم منه بالحديث. لذلك تجد من ترجم له من أهل السنة يصفونه بالأديب والخطيب والشاعر والفقيه، أما الإمامية فيصفونه بالحافظ المحدث، مما يدلك على أنها قضية تلميع له ليس إلا!

وقد قال عنه شيخ الإسلام:

«أخطب خوارزم هذا له مصنف في هذا الباب- أي الأحاديث- فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على مَن له أدنى معرفة بالحديث، فضلًا عن علماء الحديث، وليس هو من علماء الحديث، ولا ممن يُرجَع إليه في هذا الشأن البتة، وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات»[1].

(١) «**منهاج السنة**» لابن تيمية (ج ٥، ص٤١، ٤٢).

وهناك كتب مماثلة عديدة، اشتهرت بالروايات الأسطورية، ليس آخرها «**مقتل المقرم**» لمؤلفه «عبد الرزاق بن محمَّد المقرّم- مات سنة ١٣٩١هـ»، الذي يعد تكرارًا لأساطير مَن سبقوه من أمثال أبي مخنف وغيره.

- **أمثلة من أساطير الشعوبية في «ثقافة الحسينية»**

يعد الملك «رستم بن زال» الرمز الأسطوري الذي قام عليه الأدب الفارسي الشعوبي، الذي جمعه «أبو القاسم الفردوسي»، في القرن الثالث، في ملحمته الشعرية الأسطورية «**الشاهنامه**»، التي استغرق إنجازها ثلاثين عامًا، كما أخبر الفردوسي نفسه عن ذلك عبر بيت من الشعر قال فيه:

بسي رنج بردم در آن سال سي عجم زنده كردم بدين پارسي

وترجمته:

«لقد عانيت كثيرًا طوال تلك الثلاثين عامًا... حتى استطعت أن أحيي لغة العجم في هذه المملكة».

ومن ضمن هذه القصص الشعوبية الأسطورية المنتشرة في «**ثقافة الحسينية**»: قصة لقاء سيدنا علي بن أبى طالب برستم بن زال الساساني، والاشتباك معه.

خلاصتها:

«أن النبي ﷺ **قال لعلي** رضي الله عنه يومًا، وقد أعجبه غناءه في الحرب: لقد قاتلتَ قتال رستم. فتشوق علي إلى معرفة رستم، فدعا الرسول ﷺ وعلي لا يعلم- أن يَبعث اللهُ رستم. ثم تلاقى علي ورستم في شِعب ضيق لا يتسع الراكبين، فسلم رستم، ولم يرد عليٌّ السلامَ، و لم يكن بد من رجوع واحد منهما القهقرى حتى يجتاز الآخر، ولكن رستم رفع عليًّا وفرسه ووضعهما خلفه، ومضى كل في طريقه. فلما لقي علي الرسول صلوات الله عليه أخبره بما رأى، ثم مرَّ علي بعد أيام قليلة برستم قاعدًا وفرسه يرعى حوله، فسلم رستم ولم يُجِب عليٌّ، وسأله رستم أن يحضر إليه مخلاة فرسه، وكانت على مقربة منه، فلم يستطيع علي حملها إلا بجهد، فقال في نفسه: ما عسى أن تكون قوة الفرس وفارسه؟!

فلما أخبر عليٌّ الرسولَ بما رأى، قال الرسول: ذلك رستم، دعوت الله أن يبعثه لتراه. ولامه على أن لم يردَّ تحيته، وقال: لو أحسنتَ لقاءه لسألتُ الله أن يطيل حياته، ولكان ذلك في حربك عضدًا» .

إن هذه القصة الأسطورية يمكن جعلها قاعدة قياس؛ لمعرفة مدى تغلغل الأسطورة الشعوبية في «ثقافة الحسينية»، فالمستعرِض لقصة «**واقعة كربلاء**» التي أوردَتْها كتبُ المقاتل، وما دار فيها من أحداث، ودور كل شخص ممن شارك في تلك الواقعة المؤلمة، وما قام به من أعمال؛ سواء على صعيد المشهد القتالي البطولي، أو على صعيد الموقف العاطفي- فانه سوف يصطدم بكمٍّ هائلٍ من القصص المستوحاة من الخيال الأسطوري لملحمة «**الشاهنامه**». وهنا نورد بعض الأمثلة على ذلك.

لقد شكلت شخصية بطل «**ملحمة الشاهنامه رستم بن زال**» نموذجًا في مخيلة كتَّاب المقاتل، ومروِّجي «ثقافة الحسينية»- قراء المراثي- وتم انعكاسها على العديد من الشخصيات البارزة في «**ملحمة كربلاء**»، وليس

شخصية رستم وحده، بل حتى حصانه «الرخش»- ومعناه: الرعد- أيضًا احتل هو الآخر مكانة في «**ملحمة كربلاء**» المرويَّة؛ فتُظهِر «**الشاهنامه**» البطلَ العظيم «رستم» وهو يأسر «رخش»، وهو الحصان الذي سوف يمتطيه في مغامراته؛ لحماية ملوك إيران .

تصف «**الشاهنامه**» «الرخش» بأنه قوي كالفيل، حوافره مصنوعة من الفولاذ، وجلده برَّاق ومرقط، كما لو أنه مرصَّع بتويجات ورود حمراء فوق الزعفران .

وهذه بعض أدوار «الرخش» الأسطورية في «**ملحمة الشاهنامه**»:

الصورة الأولى: «عراك رخش والأسد»:

قال: فضل رستم يسير في كل يوم مسيرة يومين، يحسب الليل نهارًا، ولا يعرف نومًا ولا قرارًا. قال: فاشتهت نفسه الطعام يومًا، فعرضت بين يديه صحراء مملوءة بأسراب اليعافير، فركض رخشه خلف عير منها، ورماه بالوهق في حلقه فبطحه، وأخرج نشابة وقدح بنصلها نارًا وشوى العير، ثم خلع لجام فرسه

وأرسله يرعى في أجمة كانت بين يديه، ثم نام تحت قصب هناك، فلما مضت طائفة من الليل خرج سَبُعٌ، فرأى رستم متمددًا كأنه ركن جبل، ورأى رخشه كأنه ثعبان، فأقبل نحو الفرسُ ليفترسه، فوثب الفرس وضرب بيديه على أم رأسه ففلق هامته، ومزق جلده، وتركه طريحًا كخباء مقوّض .

فلما انتبه رستم، رأى ذلك؛ فعلم أنه من صنيع رخشه، فأقبل عليه ومسح بيده غرَّته، و قال: لو انتبهتُ لكفيتُك هذه المقاتلة. ثم لما طلعت الشمس، قام وغمز ظهره وأسرجه، وذكر ايزد[١] **وركبه**[٢].

الصورة الثانية: «مصارعة الرخش للتنين»:

قال: وجنه الليل، فتمدَّد رستم ونام، والفرس يسرح في مرعاه، فلما توسط الليل جاء ثعبان هائل كان يأوي إلى ذلك الموضع، لما رآه الفرس عاد نحو رستم، أخذ يضرب بحوافره الأرض حتى انتبه؛ فقام ونظر

(١) (ايزد) هو إله الفُرس المجوس قبل الإسلام.
(٢) (منمنمات الشاهنامه)

يمينًا و شمالًا، فلم ير شيئا، فزجر الفرس وطرده وعاد إلى نومه .

فلم ينشب أن عاد الفرس يضرب الأرض، حتى إنها تشقق تحت سنابكه، فانتبه وقام، وجعل ينظر أمامه ووراءه، فلا يرى شيئًا. فطرد الفرس بجفوة وعنف ونام، فما استغرق في النوم حتى أتاه راكضًا جريًا، فقام فرأى ثعبانًا يتنفس؛ فيحرق جميع ما حوله من الحشيش، وأخذ السيف وأقبل نحوه، فتعلَّق أحدهما بالآخر، وطال بينهما القتال، وكاد الثعبان يغلب رستم، فلما رأى رخشه ذلك، حمل على الثعبان فعضه عضة انتزع بها كتفه، وشق جلده؛ فانقلب الثعبان، واستعلى عليه رستم فألقمه السيف، فخر صريعًا، وجعل دمه يجرى جريان السيل .

فلما رأى ذلك دعا ايزد و شكره، وجاء إلى العين فاغتسل منها، وأسرج الرخش وركبه[١].

وبالانتقال إلى «**ملحمة معركة كربلاء**»، نجد أن صورة

(١) «**منمنمات الشاهنامه**».

«الرخش» قد تجسدت تمامًا في «ذي الجناح» الذي كان له دور بارز في «**ملحمة عاشوراء**».

و«ذو الجناح» هو اسم فرس الإمام الحسين الذي ركبه يوم عاشوراء، وسمي بذي الجناح لسرعته، فبعد سقوط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض صار هذا الفرس يذبُّ عنه، ويهجم على فرسان العدو، وقتل جماعة منهم(١).

بقى الإمام الحسين عليه السلام على ظهر الفرس غاية جهده، واستمر يحارب ويقاوم، لكنه سقط آخر الأمر من على ظهر الجواد على أرض الطفوف .

ويقال: إن الفرس انحنى إلى الأرض؛ ليهبط الإمام إلى الأرض، وبعد مقتل الإمام لطَّخ الفرس ذؤابته بدمه، وتوجه نحو الخيام وهو يصهل ويضرب الأرض برجله؛ ليخبر أهل البيت باستشهاده، فعرفت النساء مقتل الإمام، وعَلَا صراخهنَّ(٢).

وقال بعض الرواة: وأقبل الفرس يدور حوله عليه السلام،

(١) «**المناقب**» لابن شهر أشوب (٤: ٥٨).
(٢) «**بحار الأنوار**» (٤٥: ٦٠).

ويلطخ ناصيته بدمه، فصاح ابن سعد: دونكم الفرس؛ فإنه من جياد خيل رسول الله صلى الله عليه وآله. فأحاطت به الخيل، فجعل يرمح برجليه حتى قتل أربعين رجلًا وعشرة أفراس. فقال ابن سعد: دعوه لننظر ما يصنع؟

فلما أمِن الطلب، أقبل نحو الحسين عليه السلام يُمرغ ناصيته بدمه، ويشمه، ويصهل صهيلًا عاليًا .

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: كان يقول: الظليمة، الظليمة، من أمة قتلت ابن بنت نبيها. وتوجه نحو المخيم بذلك الصهيل.

وجاء في بعض الأخبار: أن فرس الإمام هام على وجهه بعد استشهاد الإمام، وابتعد عن النساء، وألقى بنفسه في نهر الفرات، واختفى[1].

* * *

(١) «**تذكرة الشهداء**» لملا حبيب الله الكاشاني.

الفرس المقدس ذو الجناح

كانت هذه نماذج من صور التماثل بين حصان رستم «الرخش» وفرس سيدنا الحسين «ذي الجناح» في «**ملحمة الشاهنامه**»، وأساطير ثقافة الحسينية.

وبالانتقال إلى صفحة جديدة، سوف نواجه بصور أخرى من هذا التماثل الأسطوري، ولكن هذه المرة يجري التماثل الصوري بين بطل «**الشاهنامه**» رستم بن زال وابنه سهراب من جهة، وبين سيدنا الحسين وابنه علي الأكبر من جهة أخرى.

في الصورة الأولى:

تعرض إحدى منمنمات الشاهنامه موقفًا عاطفيًّا لرستم مع ابنه سهراب الذي كان يحتضر، فتقول: ولما لحقه الخبر بموت سهراب، فخرَّ من الفرس، وحثا التراب على رأسه، وجعل يبكي عليه ويندب، و يقول: مَن الذي أصيب بمثل ما به أصبتُ، ومَن الذي فجع بمثل ما به فجعت؟.

«رسم لرستم محتضنًا ولده سهراب وهو يحتضر»

أما الصورة الثانية:

وفيها الإمام الحسين محتضنًا ولده عليًّا الأكبر، يبكي ويقول: بني، على الدنيا بعدك العفا.

يقول المؤرِّخون: لما وصل الحسين إلى ولده عليٍّ، نزل عنده وتمدَّد إلى جنبه، وألصق صدره على صدره، وخدَّه على خدِّه، ثمَّ هملت عيناه بالدموع، ونادى: ولدي علي، على الدنيا بعدك العفا، أمَّا أنت يا بني فقد استرحت من همِّ الدنيا وغمِّها، وبقي أبوك لهمِّها وكربها[1].

* * *

(١) «**مقتل العوالم**» (ص ٩٥)، «**مقتل الحسين عليه السلام**» للطوسيّ، «**نور الأئمة**» للخوارزميّ.

الحسين محتضن ولده عليًّا الأكبر، حسب ما يظهر
في الرسوم التعبيرية في أسطورة «ثقافة الحسينية»

كانت تلك بعض من صور التماثل بين الاساطير التي تعج بها كتب التراث الادبي الفارسي الذي سطرته اقلام الشعوبية، والتراث الادبي والفكري الذي تروجه ثقافة الحسينية، وإذا ما أراد القارئ المهتم أن يبحث في هذا الأمر، فإنه سوف يجد صورًا لا حصر لها من التماثل بين القصص والروايات الأسطورية الشعوبية، وبين الحكايات والقصص الخرافية التي تعج بها مكتبة ثقافة الحسينية.

* * *

الخاتمة

وفي الختام أقول: لعل ما سوف يسجل على هذا الكتاب من ملاحظات من قبل بعض النقاد هو، ان الكتاب لم يسلك الطريقة الأكاديمية لشرح موضوع العنوان الذي حمله و يحسبوا ذلك خلل منهجي. ولكن ما أود ان ابينه للقارئ الكريم، انني و كما في كتاباتي السابقة أحاول دائما في مثل هذه المواضيع أن اكتب لعامة الناس وليس لنخبهم. فانا هنا لا أقدم اطروحة علمية لنيل شهادة جامعية، وإنما اشرح صور وحالات عشتها وعايشتها وكانت في يوم من الايام تشكل جزءا من تكويني العقائدي والفكري والثقافي، وقد لمست حجم خطورتها، عقائديا وفكريا وثقافيا، بما خلفته من آثار اجتماعية سلبية دفع الشيعة والسنة ثمنها على حدا سواء ومازالوا يدفعون الثمن في كل يوم. ولهذا سلكت اسلوب المنهج التبسيطي حتى اصل الى غايتي التي اسعى لها وهي تعريف حقيقة وخطورة هذه الثقافة التي

تمارس باسم أهل البيت ﷺ، وكيفية ايصال هذه الفكرة الى ذهن القارئ بأقصر وأسهل الطرق. كما عملت على تعريف المكان الذي تتم فيه صياغة هذه الثقافة واعني بذلك «الحسينية»، هذا المكان الذي اعطيت له القدسية بغير ما انزل الله به من سلطان من اجل شرعنة الاساطير والبدع والخرافات التي تروج وتمارس في داخل هذا المكان «الحسينية» وإعطاءها طابعاً مقدساً حتى تصبح جزءاً من المكون العقائدي والفكري لأتباع دين الإمامية وإقناعهم بوجوب ممارستها تحت مسمى احياء الشعائر الحسينية.

هذا فإن وفقت في مقصدي فهو بتوفيق من الله.

* * *

فهرس المحتويات

الفهرس

❑ الإهداء ٥
❑ تقديم بقلم عبد الرحمن الجميعان، المنسق العام لمنتدى المفكرين المسلمين ٧
❑ المقدمة ١٧

الفصل الأول

ما هي الحسينية؟
٢٧ - ٤٨

• الفرق بين الحسينية والحوزة الدينية: ٣٠
• وقد اختلف مراجع الإمامية في حكم المخالفين لهم ٣١
• سبب أخذ بعض مراجع الشيعة بالقول الثاني- أي بأن الأصول ثلاثة: ٣٥
• تاريخ ظهور الحسينية ٣٧
• طقوس ثقافة الحسينية ٤٢

الفصل الثاني

أكذوبة قدسية الحسينية

٤٩ - ٧٤

- إذن مِن أين جاءت قدسية الحسينية؟ ٥٠
- أثر ثقافة الحسينية في بناء الشخصية الشيعية . . ٥٧
- الحسينية تأخذ مكان الحوزة، وقرَّاء المراثي يأخذون مكان المراجع ٦٤

الفصل الثالث

أساطير الشعوبية في ثقافة الحسينية

٧٣ - ٩٠

- أمثلة من أساطير الشعوبية في «ثقافة الحسينية» . ٧٧
- الخاتمة ٩١

* * *